# مقدمة

منذ أكثر من عشرين سنة عندما أقدمت على إخراج هذا الكتاب عن المرأة العربية ، لم يكن نسمع عن العولمة أو يطرق أسماعنا شيء عن العولمة والعلمانية والحداثة أو نهتم بأمرها فنعيرها شيئًا من اهتمامنا .

أما الآن فقد غدت العولمة والعلمانية أمرًا مؤثرًا على مجتمعاتنا بشكل سلبي واضح ، إنها مؤثرة بما تحمله كلمة العلم والعالمية والحداثة من قوة وجاذبية في التأثير لدرجة افتتان شبابنا ومتعلمينا ، وما يتغلغل في علومنا وأساليب ترويحنا وسلوكنا ومنابع ثقافتنا من تأثير يعكس مسيرة التقدم في بلادنا ويُسيرها إلى الوراء ، وينشر الفوضى العلمية والأخلاقية بين شبابنا وشباتنا .

دخل فكر العولمة إلينا والحداثة عن طريق علومنا ووسائل ثقافتنا كالمجلة والنادي والسينما وإلى كل الوسائل المرئية وغير المرئية ، وكل وسائل ترويحنا ووسائل الاتصال والمواصلات الحديثة ، وسنلاحظ في بدايات الكتاب أحاديث عن ثقافتنا وقد ابتدأ الغرب بحداثته وعولمته في التأثير على ثقافتنا وتغيير مجتمعاتنا في مجال الأسرة والاقتصاد وعلاقة المرأة مع الرجل .

لقد بدأ الغرب مسيرته العلمية والتنويرية بشكل معاد للدين والألوهية ، كان ذلك لظروف خاصة بالغرب بسبب جذوره الفكرية في تراثه اليوناني ، وللعداوة التي نشأت بين الكنيسة والعلماء وما يرتبط بالدين من منظومة خلقية ، حيث كان على شيء من الجمود .

وسعى حثيثًا في علومه الاقتصادية مستعينًا بالتكنولوجيا الحديثة من أجل

تحقيق تفوقه التقني وسبقه الاقتصادي مسخرًا لذلك الإنسان والطبيعة والمادة من أجل مزيد من الاستنارة ، أي أنه قد أصبحت المادة والطبيعة في معيار الغرب لها مكانة تسبق الإنسان وتسيطر عليه ، لقد كان هذا الأمر منهجًا له في إمبرياليته ورأسماليته التي تتحكم في أموره ، وأصبح الرجل الغربي الأبيض هو سيد العالم ويحق له استعمار الثقافات الأخرى في العالم والتحكم بمصيرها .

ولما جاء نابليون بونابرت إلى الشرق حاملًا رسالة الفكر الاستناري ومخططاته الاستعمارية ، وعمل على تهديم مظاهر حضارتنا في القاهرة والإسكندرية ... هذا فإن أمرًا هامًا بدا للعلماء الغربيين وغيرهم الذين تطلعوا إلى بلوغ السعادة في مرحلة الاستنارة الغربية وهو أن هذه الاستنارة كان لها جوانبها المظلمة أيضًا ، والأكثر من ذلك أنها آخذة بسبيلها للقضاء على الإنسان نفسه وما يسمى بنهاية التاريخ .

سأحاول أن أستعرض في آخر هذا الكتاب بشكل سريع موضوعين هامين أفرزتهما حركة العولمة الغربية وخصوصًا العلمانية الشاملة التي تأت بعد العلمانية الجزئية ، وقد رأى علماؤنا أن العلمانية الشاملة تأخذ بالإنسان والإنسانية إلى مرحلة الضياع .

١ـ **الموضوع الأول** : ويتعلق بموضوع تحرير المرأة من واقع فكر العلمانية الشاملة .

**الموضوع الثاني** : ويتعلق بحركة التمركز حول [١] الأنثى ، فبعد أن كانت

---

(١) العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، د/ عبد الوهاب المسيري ، المجلد الأول دار الشروق القاهرة مدينة نصر ، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

المرأة من خلال التاريخ تمثل رمز العطاء والمحبة والخير والنماء فسأترك للورق يحدثكم كيف تم تعقيم المرأة ووظيفتها والمآل الذي آلت إليه بعد أن كانت المرأة شريكة الرجل في الإنسانية ، وتمثل دعامة أساسية للأسرة والمجتمع .

لقد سار الغربي في طريق حداثته أو تنويره الغربي ، ولكنه ضل طريقه فأضاع الإنسان وأضاع المجتمعات التي يسعى للتأثير عليها بشكل مباشر أو غير مباشر .

وإن مثل هذا يحثنا أن نعمل من أجل العلمانية الشرقية أو الإسلامية المستهدية بهدي الله لما يحقق سعادة الإنسان وسعادة البشرية جمعاء .

إنها العلمانية التي تؤمن بالله ، والتي تقوم على العلم الحق وتختزل أفكار الشعوذة وكل الكلام المحسوب على الدين الذي يضيع طاقات العقل ويعيق تقدم البشرية ، بعد الاستعانة بالإمكانيات المسخرة لها من قبل خالقها لعمران الأرض .

إننا بحاجة إلى الشباب المؤهل بالقرآن وبالإسلام أن يستوعب حضارة العصر حتى لا يكون غائبًا في عصره ، إن استيعابه لواقعه يدفع بحضارته ومجتمعه إلى الأمام مستفيدًا من إنجازات العصر ، إن ظاهرة الاختزال هي نعمة وهذه النعمة أصبحت تستعمل على يد الاستعمار أداة ضد الأمة الإسلامية ، فمتى نستخدم طاقات الأمة والعلم الحديث من أجل تحقيق رسالتنا ؟!

*****

# تمهيد

أمنية غالية من أماني أعدائنا هي القضاء على مقومات مجتمعنا وهويته وشخصيته عن طريق تغريب [١] أنساق المجتمع ، بما يؤدي إلى سيرنا في ركاب الغرب ، ثقافيًا ، واقتصاديًا ، واجتماعيًا .

وكان أول وجهة له هو النيل من عقيدة هذه الأمة ، التي هي سر قوتها وعظمتها ودعامة ثقافتها وحضارتها .

وقد حاول أن يجرب حظه في هذا فلم يتحقق له ذلك بالأساليب المباشرة والمواجهة وجهًا لوجه حيث مني بالفشل والهزيمة عدة مرات .

ولكنه اهتدى إلى طريقة تحقق له أمنية وهي أن يدخل إلى المجتمع من نقطة تفوقه في الخدمات التي يمكن أن يقدمها له في جميع المجالات ، بما يوهن عقيدته ويسلبه فكره ويشوه ثقافته .

والمرأة حصن من حصون المجتمع ولبنة أساسية في بنائه ، لها دورها العظيم في مجال تربية الأجيال القادمة ومساندة الرجل ورعايته في مسؤوليته نحو بناء

---

(١) للاغتراب وجوه كثيرة ومعان متعددة ونأتي على ذكر المعاني التي توضح موضوعنا : فالاغتراب كما جاء في اللغة اللاتينية والذي يشير إلى تحول الكائن خارج ذاته ، ومن معاني الاغتراب ما ورد بشأن تشيوء الذات ، أي : أن الفرد يعامل كموضوع ويتحول لشيء بحيث يفقد توحده مع ذاته ، وحسب اللغة المعاصرة يكون لا شخصيًا فتكون خبرات الفرد أثناء حالته الاجتماعية والنفسية مفعمة بإحساسه بالبعد أو الانفصال عن جماعته ومجتمعه ، ويكون مغتربًا بخبراته وعواطفه .
والنشاط غير المغترب ذاتيًا هو الذي يحقق التعبير الذاتي والتحقق الذاتي ، ويرى بلونر أن أنماط الاغتراب تعكس تجزؤات بين الإنسان وخبرته ، الذات والموضوع ، الحاضر والمستقبل ، الجزء والكل ، الفرد الاجتماعي ، انظر : كتاب نظرية الاغتراب للدكتور علي شتا .

اقتصاد بلاده ، ولها شأنها في استغلال وقت فراغ أفراد الأسرة والاستفادة من إمكانياتها المادية والمعنوية .

ونحن مقبلون على نهضة حضارية جديدة ، فقد حرص الأعداء على إبعادنا عن أن نستوحي من تراثنا من أجل بناء نهضتنا وصناعتنا وفنوننا فيما يلبي احتياجاتنا ؛ لأنه يريدنا كما يتمنى وهي أن تظل بلادنا سوقًا مستهلكة لمنتجاته الفكرية والمادية .

كما أنه لا يريد المرأة في بلادنا أن تكون قوية بإيمانها وطاقة خلاقة داخل أسرتها ، كذلك نحو مجتمعها واقتصاده ، فهو يريدها أن تكون زبونة مستديمة لأزيائه وموضاته ، تستهويها أساليب ترويجه وفنونه ، وتأخذ بأحدث مبتكراته وصرعاته .

إن أفضل مجال يبدأ منه للوصول إلى هدفه هو الدخول من أعظم رسالة للبشرية قام بها الأنبياء ، وهي رسالة التعليم سواء بالنسبة إلى الرجل أو بالنسبة للمرأة ومن ثم أجيال المجتمع ، ونتيجة لتأثيره في هذا المجال يستطيع أن يصل إلى كثير من أوجه نشاطها وفعاليتها ، كما يحاول أن يدخل من كل ثغرة ممكنة في أنظمتنا الاجتماعية التي تبني نهضتنا .

وإن مجال العمل هو أنبل مهمة يؤديها الإنسان ، كما أن نظامه هو الذي يساعد على تأدية دوره ، وما يزال يحاول أن يفسد خصوصيات المجتمع ومقاييسه ويبث الشبهات ، سواء بالنسبة لمجال التعليم أو العمل ونوعه مثل : مساواة المرأة بالرجل في نوع التعليم أو العمل ، أو تقليد الغرب في مجاليهما ، أو أنه يحرص على ألا يؤدي التعليم وظيفته في الأخذ والعطاء السليم من المجتمع

وإليه . حتى لا يؤدي إلى التعليم رسالته في التأثير على المجتمع ويقوم بوظائفه .

ثم إنه من الثابت أنه لا يعطينا أسرار العلوم والفنون التي تبني المجتمع بل يحصر رسالتها في زوايا ضيقة بحيث لا تؤدي أي فاعلية نحو تقدم المجتمع وازدهاره ولا يترك له المجال لرؤية تاريخية لواقعة تنير له الطريق من أجل بناء واقعه الحالي .

فعدا عن أنه يلهينا عن تراثنا ويعمل على تشويهه وطمس معالمه ما أمكن حتى لا نستلهم منه حكمته ، فإنه يحاول أن يغرق ثقافتنا بما تبقى لنا من مساحة فكر سواء بمؤلفاته أو مجلاته المغرِّبة أو برامجه المصورة على أن ما فيها من أسلوب وقيم وقوالب تمثل عين التقدم ، وذلك حرصًا منه على أن تسير المرأة والرجل في خط التبعية لنموذج المرأة الغربية وأنماط معيشتها وطريقة استهلاكها للمنتجات الغربية وصناعتها .

كما يحرص بين فينة وأخرى على إشعال المعارك الجانبية في حرية المرأة وذلك ليس إلا من أجل استثارة نوازع نفسها لكي تثبت وجودها أمام الرجل أو المجتمع بنفس الطريق الذي رسمه لها .

هذا وقد حاولت أن أجمع بعض مقالاتي التي كتبتها من وحي ما عرفته عن المرأة المسلمة المثالية كما عرفتها في شخصية جداتنا وغالبية نساء مجتمعاتنا في الجيل الذي سبقنا ، ومن خلال عروض التراث التي شهدتها في المملكة فهي المرأة العاملة النشيطة النظيفة في بيتها التي تمتلئ بالعاطفة الصادقة لجميع أبناء جنسها ، ولها مفهومها الخاص في مسألة زينتها وجمالها .

وبالإضافة إلى كونها اقتصادية في بيتها ، فإنها تساهم أثناء ذلك في بناء

اقتصاد بلادها كلما سنحت لها الفرصة إلى ذلك .

وقد حاولت من خلال تلك المقالات مناقشة بعض المسائل والأمور الجديدة التي واجهت المرأة في هذا العصر ، نتيجة للتقدم والتطور الحضاري والتغيرات التي عايشتها وأثرت عليها .

وخلاصة الأمر فإنه من واجبنا أن نركز اهتمامنا على أن يقوم المجتمع أي : الرجل خاصة في مجال تنمية وتطوير الزراعة والصناعة ، والثقافة ، وأن تكون هذه الجهود ملبية لاحتياجات الإنسان الأساسية كي يحقق الاكتفاء الذاتي من مأكل وملبس ومسكن ومن أثاث ومفارش وكل ما يتعلق بذلك من صناعات وفنون مختلفة [١] .

ثم يتبع ذلك توفير كل ما هو كمالي وزائد عن الضرورة ، ومن المؤكد أن يأتي دور المرأة في هذا مدعمًا لجهود الرجل وساندًا له ، ومستغلًا كل وقت فراغ لها بعد قيامها بمسؤولياتها ، ومن أجل هذا نحتاج لتصحيح الكثير من الشبهات والتشويه الذي لحق بمفاهيمنا وقيمنا ، ويأتي في مقدمة هذا ما يتعلق بتعليم المرأة وعملها وزينتها وجمالها وكل ما يستعيد دورها في أن تكون طاقة خلاقة في مجتمعها ، تعمل على إرضاء الله ومن ثم إرضاء زوجها وأسرتها وفي بناء مجتمعها ، وكل ما يحافظ على دينها وأخلاقها الإسلامية العالية .

وما أجل الدين والدنيا إذا اجتمعا معًا .

*****

(١) ارجع إلى مقدمة ابن خلدون وتقسيمه للصنائع حسب حاجة المجتمع إليها فيما هو ضروري .